الاتحاد

التهدئة في فلسطين ولبنان والعراق

عصام هجو

يجول جورج بوش العالم مودعاً رؤساء الدول. ولايته تنتهي مطلع العام المقبل، وهو يريد قبل المغادرة أن يطمئن إلى أن بعض الاتفاقيات والعهود والوعود القائمة مع أصدقائه وحلفائه ستبقى نافذة. سيكون مستعداً، بطبيعة الحال، لتقديم الدعم اللازم لهؤلاء لتحسين قدراتهم على الوفاء بما تعهدوا به. في هذا السياق، قرر بوش ان يخدم نفسه من جهة وأصدقاءه وحلفاءه من جهة أخرى بإشاعة أجواء من التهدئة في مناطق الصراع والنزاع. فالتهدئة بين "حماس" و"إسرائيل"، وبين "فتح" و"حماس"، وبين "إسرائيل" وحزب الله، وبين "إسرائيل" وسوريا، وبين الأطراف العراقيين المتصارعين من جهة والولايات المتحدة وإيران من جهة أخرى هي عنوان مرحلة الانتقال من عهد بوش الجمهوري الذاوي إلى عهد خلفه الديمقراطي- الأرجح باراك أوباما- البازغ.

ليست الولايات المتحدة وحدها من يمرّ في مرحلة انتقالية. "إسرائيل" تمر أيضا في مرحلة الانتقال من عهد ايهود اولمرت، الذي ينتظر لائحة اتهامات جنائية لحمله على الاستقالة، إلى عهد خلفه من حزب "كاديما" أو، ربما، من حزب "ليكود". ولبنان يمر أيضا في مرحلة الانتقال من عهد اميل لحود إلى عهد ميشال سليمان ومن ثم إلى عهد يتخطى مرحلة الصراع حتى حدود التناحر بين الفريق الحكومي الموالي لإدارة بوش وفريق المعارضة المناهض لـ"إسرائيل" والمتحالف مع سوريا وإيران.

دول أخرى في المنطقة وخارجها تمرّ في المرحلة الانتقالية عينها أو تعاني من متطلباتها وتداعياتها. الأردن، مثلا، يتحسب للمخاطر التي قد تنجم عن انتخاب السيناتور جون ماكين للرئاسة الأمريكية. فالمرشح الجمهوري أشار في أحد تصريحاته إلى ان الأردن هو "الوطن الطبيعي" للفلسطينيين، متبنياً بذلك مواقف غلاة المتطرفين الصهاينة الذين ينادون بنظرية "الترانسفير"، أي إقامة الدولة الفلسطينية في الأردن كوطن بديل من فلسطين.

مصر تتحسب لمخاطر عودة بنيامين نتنياهو وحلفائه من المتطرفين اليمينيين إلى السلطة بعد إزاحة أولمرت. فزعيم حزب ليكود شديد العداء لحركة "حماس"، وملتزم متابعة عمليات الاستيطان في كل أنحاء الضفة الغربية، وبالتالي غير ملتزم بـ "خريطة الطريق" المؤدية، نظرياً، إلى إقامة دولة فلسطينية بجوار "إسرائيل". كل ذلك قد ينسف أسس التهدئة التي عملت مصر من أجلها كثيراً وبوشر في تنفيذها أخيراً.

سوريا تتحسب هي الأخرى لمخاطر افول عهد أولمرت وحزب "كاديما"، ذلك أن "بطل" حرب "إسرائيل" الثانية على لبنان هو نفسه "بطل" معاودة التفاوض مع سوريا بعد سنوات طويلة من انقطاعها. صحيح ان دمشق لا تعول كثيراً على هذه المفاوضات غير المباشرة التي ترعاها تركيا، لكنها تعتبرها متنفساً سياسياً في هذه الآونة يكسر طوق العزلة التي حاولت واشنطن، منذ اغتيال رفيق الحريري، فرضه بقوة عليها وإن دونما جدوى.

في المقابل، تتأثر قوى المقاومة، دونما شك، بتداعيات المرحلة الانتقالية المتطورة. ذلك أن النائبة عن حزب ليكود ليمور ليفانت حذّرت، بعد اطلاعها على تقرير رئيس دائرة الأبحاث في شعبة الاستخبارات العسكرية "آمان" العميد يوسي بيداتس، من "فشل تام لقرار مجلس الأمن ١٧٠١ الذي أفضى إلى انتهاء الحرب الثانية على لبنان وتتباهى الحكومة به كثيراً". لماذا هذا التحذير الصارخ من ليفانت؟ لأن العميد بيداتس قال في تقريره للجنة الشؤون الخارجية والأمن في الكنيست إن حزب الله "بنى تحت أنف قوات "اليونفيل" منشآت تحت الأرض وأدخل آلاف الناشطين والصواريخ". هذا مع العلم ان حزب الله يقوم، عبر وسيط ألماني يعمل كمستشار لدى أمين عام الأمم المتحدة، بإجراء اتصالات مع "إسرائيل" من اجل تبادل الأسرى بين الطرفين. ويخشى ان تكون لتقرير بيداتس وتحذير ليفانت تداعيات سياسية داخلية قد تؤدي إلى تفشيل عمليتي تبادل الأسرى بين "إسرائيل" وكل من حزب الله في لبنان وحركة "حماس" في قطاع غزة. ذلك ان أوساطاً استخبارية "إسرائيلية" تتهم "حماس" بأنها تستغل أجواء التهدئة وفتح المعابر من اجل تهريب المزيد من الخبرات البشرية والمواد الحربية إلى داخل القطاع.

غير أن ما يبعث على الدهشة والشعور بالخطر في آن واحد ما نسبته صحيفة "هآرتس" المستقلة إلى ناظر القرار الدولي ١٥٥٩ تيري رودلارسن من انتقادات شديدة لـ"إسرائيل" بسبب موافقتها على استئناف المفاوضات مع سوريا. فقد كشفت "هآرتس" ان برقية سرية أرسلتها البعثة "الإسرائيلية" في الأمم المتحدة إلى وزارة الخارجية في تل أبيب نقلت عن لارسن قوله إن سوريا بفضل المفاوضات "تحصل على شرعية دولية مجاناً... وان أوروبا تغازل سوريا بسبب المفاوضات، ولم يعد السوريون مطالبين بإعطاء شيء مقابل ذلك، وان "إسرائيل" منحت سوريا هدية كبيرة من دون الحصول على أي مقابل حتى الآن".

ماذا يبغي لارسن من وراء هذه الانتقادات؟

إذا كان يعتقد ان "إسرائيل" تكسب أكثر بعدم مفاوضة سوريا والاستمرار في الضغط عليها، فإن "إسرائيل" تدرك بالتأكيد مصلحتها أفضل بكثير من السيد لارسن. واذا كان لارسن يعتقد ان قيام "إسرائيل" بمفاوضة سوريا، حليفة حزب الله، من شأنه تشجيع هذا الأخير على عدم حل نفسه أو تسليم أسلحته للحكومة اللبنانية، فإن "إسرائيل" أدرى بمصلحتها من لارسن بدليل انها تجري اتصالات مع حزب الله بغية تبادل الأسرى معه. إن المرء ليتساءل: هل يجوز لمسؤول في الأمم المتحدة ومعاون لأمينها العام ان يكون ملكياً أكثر من الملك، أي ان يكون صهيونياً أكثر من المسؤولين "الإسرائيليين" أنفسهم؟ أي صدقية تبقى للأمم المتحدة عندما يتصرف أحد كبار مسؤوليها على هذا النحو الصارخ من الانحياز والانحراف؟

إلى ذلك، لا يغيب عن أذهان أهل الممانعة في فلسطين ولبنان والعراق أن التهدئة التي تتطلبها المرحلة الانتقالية هي فرصة سوف يستثمرها المسؤولون الأمريكيون و"الإسرائيليون" لمراجعة سياساتهم وتدقيق مساراتها التنفيذية وسد ثغراتها لمعاودة الهجوم مرة أخرى وبشدة مضاعفة ضد من تعتبرهم أمريكا و"إسرائيل" أهدافاً معادية. لذلك من الطبيعي والمنطقي ان يمارس أهل الممانعة سلوكية مماثلة في المراجعة والتدقيق وسد الثغرات والتعبئة والحشد.

الصراع طويل ومرير. وفي غمرته يدرك أهل الممانعة والمقاومة ان الفشل ممنوع وان النصر مهنتهم المختارة بعناية.

الجزيرة
AL-JAZIRAH

المزايدات السياسية في الحملات الانتخابية

د. علي بن شويل القرني

هل جون مكين هو باراك اوباما؟ وهل جون مكين هو جورج بوش؟ وهل باراك اوباما هو جورج بوش؟

هذا هو السؤال المحوري الذي تتطلع إليه منطقة الشرق الأوسط في نوفمبر تشرين الثاني القادم عندما يفصل الناخبون الأمريكيون قرارهم بالتصويت لاختيار الرئيس القادم الذي سيقود الولايات المتحدة في الأربع سنوات القادمة.. وقد تقلصت جميع الخيارات الحزبية إلى شخصيتين لا ثالث لهما.. فإما مكين بعقليته المحافظة وإما اوباما بديناميكيته الشبابية هو الذي سيقنع الشعب الأمريكي بجدارة الاختيار والتصويت.

ونحن في منطقة الشرق الأوسط نتابع ونحلل ونتساءل دائما كيف سيكون الرئيس القادم، وما تأثير إدارته السياسية على قضايانا ومشاكلنا في المنطقة.. ودائما تحتل القضية الفلسطينية مكانة متقدمة جداً في أولوياتنا عندما ننظر بشكل خاص في السياسة الشرق أوسطية لرئيس أمريكي جديد.. ولهذا فنحن نقيس مدى قرب أو بعد الرئيس الجديد أو الحالي بمدى تفاعله مع قضايانا..

ولكن داخل المجتمع الأمريكي تكون المعادلات مختلفة، فهناك طرق مألوفة يجب أن يسلكها أي مرشح للرئاسة الأمريكية منذ أكثر من خمسين عاما تقريبا، إذا أراد أن يكتب له النجاح في مسعاه للوصول للبيت الأبيض، ولم يخرج عن هذه المسالك السياسية أي مرشح أمريكي تقريبا.. وهنا نأتي لقوة اللوبي الصهيوني داخل المؤسسات الأمريكية، فقد فرضت هيمنتها على المرشحين السياسيين سواء على مستوى فدرالي أو على مستوى الولايات أو على المستوى المحلي.. وأصبح من واجب الطاعة أن يكشف كل مرشح هويته السياسية نحو إسرائيل، وتكون واضحة ومعلنة أمام الرأي العام وأمام وسائل الإعلام.. وهذا ما حدا أخيرا بباراك أوباما أن يأتي إلى منظمة الايباك ويعلن أبدية القدس كعاصمة لإسرائيل.. ونفس الشيء أعلنه مرشحون سابقون، وبعضهم أعلن رغبته في نقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس وغير ذلك من المزايدات السياسية..

والعالم العربي، حكومات ومؤسسات ومواطنون، أصبحوا مدركين لمثل هذه المزايدات السياسية التي تطفح بها الحملات الانتخابية في السياسة الأمريكية كل أربع سنوات تقريبا.. ولم تعد تؤثر كثيرا على العقول والنفسيات العربية، فقد اعتدنا عليها، واعتدنا على الانحياز الكامل نحو إسرائيل من قبل المرشحين الرئاسيين.. فأصبح تأييد ومحاباة إسرائيل هو منطلق نفوذ انتخابي مؤثر على سير الانتخابات الأمريكية..ومن يغرق في خضم هذه الانتخابات يحاول أن يتشبث بأي قشة لعلها تنقذه من السقوط في وحل الهزيمة السياسية..

وزيارة مفاجئة لجون ماكين إلى إسرائيل قبل أشهر كانت مدروسة من قبل مكانة الدعاية الانتخابية لهذا المرشح، فهي تعطي إشارات خضراء لكل من يحب ويؤيد ويخاف إسرائيل فقد أراد أن يعبر عن تأييده وولائه لها.. كما أول زيارة لباراك اوباما بعد إعلان تسيده ترشيحات الحزب الديموقراطي إلى منظمة الايباك واعلانه التصريح الاستفزازي للعرب والمسلمين بكون القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، تسير في خطى إعلان السمع والطاعة والتأييد والاخلاص للوبي الإسرائيلي.. ونعرف- في المقابل- أن هذه الوعود الانتخابية في كثير من الأحيان تتحطم على صخرة الواقع، فتتلاشى مع تسلم الرئيس مقاليد الحكم، وإدراكه بمعادلات الواقع السياسي في المنطقة..

ولربما يظل السؤال: هل هذه الوعود مجرد طعوم يلتف من خلالها المرشح على قوى الضغط السياسي داخل المجتمع الأمريكي، أو أنها وعود تصبح ملزمة للمرشح بعد تسلمه إدارة الملفات السياسية على أرض الواقع؟.. والمؤكد أن إسرائيل تستفيد من هذه الوعود لتحفر أجندتها في عقول المرشحين وفي عقول الناخبين. ولا شك أن إسرائيل من عدة عقود وهي تحاول أن تكرس هذا المفهوم الاستيطاني لمدينة القدس، وبدءا باحتلالها ثم بحرقها، ثم بتهويدها وتسييسها، وأخيرا بإعلانها عاصمة لها.. ومع مرور الوقت تصبح هذه الأجندة أجندة واقعية قابلة للتطبيق على أرض الواقع وفق ظروف السياسات الأمريكية المتحركة دوما إلى المصالح الأمريكية.. وهذه هي بطبيعة الحالة الطريقة التي يعتمدها اللوبي الإعلامي والسياسي، فهو يبدأ بفكرة مثيرة جدلية غير ممكن تخيلها، ثم تواصل الطرق عليها وتكرارها وترويضها سياسيا إلى أن تصبح فكرة مألوفة تناولتها وسائل إعلام وأبواق السياسات المحلية والدولية بشكل منتظم، ثم يتحول النقاش إلى مفاوضات سياسية، وحسابات أخذ وعطاء بين الأطراف ذات العلاقة.. وأخيراً تصبح الفكرة قابلة للتطبيق على أرض الواقع بتعديلات شكلية.. هذه هي سياسات إسرائيل المعتادة.

والمهم أن العالم العربي والإسلامي يجب أن يفطن إلى هذه الحيل الصهيونية، فتبدأ عادة بفكرة، كما بدأت إسرائيل بفكرة ووعد، ثم انتقلت خلال عقود قصيرة إلى كيان سياسي معترف به.. وأخيرا.. اليوم أصبحت جزءاً من منظومة دول المنطقة، ولها الحل والفصل في قضايانا وحقوقنا العربية الفلسطينية.. فالوعود الانتخابية التي يطرحها المرشحون هي-في ظاهرها- أفكار ثائرة غير واقعية هذا اليوم.. ولكنها تصبح موضوعات وأولويات في السياسة الأمريكية في المستقبل المنظور.

السفير

أيها اللبنانيون كم أنتم مدهشون!

سليمان عبد المنعم ❖

كان المشهد اللبناني طيلة الشهور الأخيرة ساخناً ومثيراً للخوف والقلق في بعده السياسي، بقدر ما بدا موحياً وباعثاً على الدهشة والتأمل في بعده الثقافي! وبين الخوف والدهشة.. القلق والتأمل تتعدد الدروس التي لا يكف عن تقديمها هذا المجتمع اللبناني المتفجر حيوية.. المسكون بالذكاء.. المفعم إلى ما لا نهاية بحب الحياة.. والقابض بيديه على جمر العروبة والهوية وهو ما زال أكثر الشعوب العربية تواصلاً مع العصر وانفتاحاً على العالم.. مفارقات تثير سؤالاً طالما راودني وطاردني: إلى أي حد يمكن للثقافة أن تفسر السياسة وتسبر أغوار ظواهرها وغرائبها؟ وما الدلالات الثقافية والاجتماعية العميقة وراء سطح هذا المشهد السياسي الصاخب؟ وكيف لشعب أن يحشد كل هذه المفارقات وربما التناقضات؟ لكن هل هي حقاً تناقضات أو هي العناصر المختلفة التي تتفاعل فتنتج مركباً فريداً؟! لعل الإجابة تتطلب تجاوز تفصيلات هذا المشهد السياسي لنحاول الإمساك بدلالاته الكبرى.. فوراء هذا الظاهر السياسي عمق ثقافي واجتماعي زاخر بالدلالات المدهشة!

الدلالة الأولى. فن التعايش مع الأزمة والقدرة على ترويض الخوف.. إنه أمر ينفرد به المجتمع اللبناني.. ففي الوقت الذي تفاقمت فيه الأحداث ولاحت نذر الفوضى، كانت الحياة تمضي في لبنان على نحو مدهش عجيب.. تنقطع الدراسة في الجامعات والمدارس لأيام ثم سرعان ما تنتظم.. عملة وطنية تتسم بثبات واستقرار ملحوظين برغم كل ما يجري.. متاجر مفتوحة على مصراعيها.. وأغان تصدح.. وسيارات من كل طراز تمرق مسرعة.. ومطاعم خافتة الأضواء، لكنها في تحد وحب للحياة لا تغلق أبداً أبوابها.. وبنات لم يفقدن زينتهن في لحظات الخوف.. وإعلام حر ومبدع وساخر حتى من نفسه! وتلفاز رشيق وذكي يضحك طوب الأرض ببرامج سياسية ساخرة لا تقل عن نظيراتها الغربية.. وفريق غنائي موهوب يملأ الدنيا مرحاً وصخباً وهو يداعب الناس والساسة معاً بأغنية عفوية (الزعما فللو من لبنان)!! صحيح أن الخوف هو الخوف.. لكن التفرد اللبناني نجح في ترويض هذا الخوف وقام بتدويره إلى نوع من الاستنفار.. هكذا لم يتحول الخوف إلى هلع وبقي كامناً مروضاً بفضل هذا العقار الطبيعي الذي صار ماركة لبنانية مسجلة تحت مسمى حب الحياة.. ولو أن شيئاً مما عاشه اللبنانيون حدث في مجتمع آخر لربما كانت الفوضى العارمة!

الدلالة الثانية. إن الديموقراطية اللبنانية وبرغم أجواء الخوف والعنف والدماء قد أحرزت نقاطاً مهمة في أتون صراع إدارة الاختلاف وربما التناقض بين الأطراف السياسية المختلفة. صحيح أن العنف والفوضى لا يستقيمان مع الديموقراطية.. وربما يرى البعض في لحظة التباس أو يأس أن الديموقراطية هي سبب كل ذلك.. لكن من الصعب ألا نسجل للديموقراطية في لبنان أنها أفقدت الحكومة وهي نفسها المشرفة على انتخابات فرعية مقعداً برلمانياً لمصلحة المعارضة بفارق ضئيل من الأصوات!! حدث هذا بلا رقابة قضائية ولا يحزنون! وأن هذه الديموقراطية برغم كل ما قد يقال عنها. قد أنتجت أكثرية لا تستطيع مثلاً بفرمان منها أن تضع المعارضة خلف الأسوار!! هذه علامات رشد سياسي لا يشعر بها اللبنانيون، وربما يشعر بها غيرهم!! لكنها تبقى في الاحوال كافة جديرة بالرصد برغم الثمن الباهظ المدفوع من رصيد الامن والاستقرار والسلم الاجتماعي. فالتطور السياسي والديموقراطي عملية تاريخية عسيرة المخاض يتقدم فيها البشر خطوة ويتراجعون خطوات.. يتعافون ثم ينتكسون لكن تطور الشعوب تجربة تسجلها ذاكرة الحاضر للأجيال المقبلة.. دروساً وعظات وعبراً!

الدلالة الثالثة. أن اللبناني لم يفقد في مناخ الأزمة نكهته المتفردة وجماليات التعبير عن نفسه حتى في أصعب اللحظات.. فلون المخاوف والأحزان والمآتم بطقوس واحتفاليات لا تخلو برغم قسوتها من دهشة! فكم من مجلس تأبين تحول إلى مرثية شعرية آسرة ومؤثرة.. وكم أثرى المشهد اللبناني القاموس السياسي والادبي العربي بتعابير مبدعة وساخرة مثل (فخامة الفراغ)، و (الشهيد الحي)، كما أن تعبير (الاحتقان السياسي) قد نقل من لبنان الى مجتمعات عربية أخرى للدلالة على توعك المزاج السياسي في المجتمع على نحو يشبه ما يصيب الجسم من عارض صحي! وفي كل مأتم ومرثية كان العلم اللبناني قاسماً مشتركاً لأحزان ومطالب الجميع على اختلافهم فبدا رمزاً ساحراً وموحداً يلوذ به الجميع برغم ما بينهم من تباينات وتناقضات.. أما البلاغة السياسية فلم تعد حكراً على النخبة المثقفة فقط بل أضحت سمة عامة لكل اللبنانيين على اختلاف شرائحهم وأعمارهم وثقافتهم!! صقلت الازمة وعي الناس وأطلقت الأوجاع لسانهم فبانت فصاحتهم من دون أن يدروا! وبدت ردود وتعليقات اللبنانيين من البسطاء على شاشات التلفاز درساً في الحكمة والطلاقة!

الدلالة الرابعة. إن الحالة اللبنانية أصبحت تمثل ليس للبنان فقط بل لعموم العرب نموذجاً دالاً بامتياز على أهمية وخطورة قضية المواطنة في الحاضر العربي. فقد بدا واضحاً بدرجة كبيرة أن غياب أو ضعف قيمة المواطنة في بعض المجتمعات العربية ينذر من الآن فصاعداً بمخاطر لا ينبغي الاستهانة بها.. وهو ما يتجلى على وجه الخصوص في المجتمعات ذات التنوع الديني والمذهبي والعرقي.. وهو تنوع كان يفترض فيه وبه ان يمثل اضافة وإثراء لقوى المجتمع فإذا به يشكل مصدراً للشقاق والفتن.

والعجيب ان ظاهرة التنوع الديني والعرقي واللغوي تبدو في دول أخرى كبلجيكا وسويسرا وكندا بل والولايات المتحدة الاميركية مصدر قوة وعافية بينما هي في المجتمع العربي نقطة ضعف ومثار قلق. وليس سراً أن العديد من مراكز الأبحاث والدراسات الغربية منشغلة منذ أكثر من عشرين عاماً بدراسة المخاطر التي تتعرض لها الدولة الوطنية العربية بفعل (وزعم) وجود الأقليات الدينية والطائفية والعرقية واللغوية.. ولعل هذه الإيحاءات والإشارات التي يتم تداولها بين الحين والآخر وإن اكتسبت ظاهراً صبغة الدراسات والابحاث فهي تمثل في حقيقتها حيثيات ومبررات لصناعة القرار واعداد السيناريوهات السياسية مستقبلاً.

وحدها المواطنة هي العاصم والمنقذ من كل الشرور والمخاطر التي تهدد تجانس ولحمة الدولة الوطنية العربية.. والتحليل يصدق من باب أولى على الحالة اللبنانية.. فالمشهد السياسي اللبناني يقدم دليلاً آخر وليس أخيراً على أن المواطنة هي سفينة نوح التي وحدها يمكن ان تنقذ من يلجأ إليها من خطر الطوفان الطائفي او العرقي. صحيح أن الحالة اللبنانية في تداخلها الاقليمي وامتدادها الدولي تنطوي على قدر كبير من التعقيد، لكن ذلك على وجه التحديد هو ما يجعل من المواطنة مطلباً ملحاً أكثر من أي وقت مضى. فحين تصبح المواطنة مصدر الانتماء وأساس الهوية ومعيار تحديد الحقوق والالتزامات على المواطنين كافة، تتراجع مخاوف التشرذم من الداخل ومخاطر التفتيت من الخارج. ولعل مبعث الدهشة في الحالة اللبنانية أن اللبنانيين قد توافقوا فعلياً وضمنياً على مراعاة التمثيل الطائفي في المناصب الكبرى وفي مختلف مؤسسات وقطاعات الدولة. وهذا في حد ذاته أمر إيجابي وإن لم يخل من الشكوى والتذمر أحياناً. لكن السؤال الدقيق والصعب هو: كيف السبيل الى ترجمة التوافق الفعلي والضمني على تمثيل عادل للطوائف والقوى كافة من خلال تكريس صريح ومقنن لمبدأ المواطنة؟ ثم كيف تتحول المواطنة من مجرد نص دستوري أو بيان سياسي الى حزمة متكاملة من الانظمة واللوائح والأطر والآليات لأجل أن تصبح صفة (اللبناني) هي الاساس الوحيد سياسياً وقانونياً وثقافياً لتحديد الحقوق والتحمل بالواجبات على قاعدة من المساواة وتكافؤ الفرص؟ ربما كانت الاجابة تتجاوز حدود هذا المقال، لكن المؤكد أن المشهد السياسي اللبناني يكشف المرة تلو المرة عن أن مبدأ المواطنة ما زال يحتاج الى جهد شاق وطويل لتجذيره ثقافياً قبل التعبير عنه سياسياً أو تكريسه قانونياً. ولهذا حديث آخر.

الدلالة الخامسة. ان لبنان يقدم في كل أزماته وتوتراته نموذجاً فريداً في الاحساس السياسي المرهف بالعروبة جنباً الى جنب مع الانفتاح الثقافي المدهش على العالم وحركة العصر. وهي ظاهرة يتجاوز فيها لبنان تنظير البعض في تجديد الفكر القومي ليمارس عملياً ويكشف عن الوجه الانساني للعروبة. فلعل أخطر ما واجه حركة العروبة هو الانكفاء على الذات والتوجس من التواصل الخلاق مع الآخر والنفور من الانخراط في حركة التقدم الانساني ابتداء من آلياتها الاقتصادية وحتى مناهجها النقدية.. وهي سمات عانت منها العروبة فيما مضى، وربما بسببها كان تحرش الآخرين بها. أما لبنان المدهش فهو تصالح بين العروبة والانسانية.. أليس لبنان هو المجتمع العربي الأشد فصاحة وهو يتكلم العربية والأكثر استخداماً للغتين الانجليزية والفرنسية في ذات الوقت؟! ولبنان هو المجتمع العربي الأكثر تفاعلاً مع أي فوز رياضي لفريق عربي بقدر ما هو في نفس الوقت المجتمع العربي الوحيد. ربما. الذي تزدان شرفات منازله بأعلام الدول الاجنبية والفرق الرياضية العالمية في المنافسات الرياضية. ولربما كانت مكتبة انطوان وغيرها من المكتبات في لبنان هي المكتبة العربية الوحيدة التي تبيع امهات الكتب العربية وكتب الفكر القومي الاكثر اصولية جنباً الى جنب مع أحدث الكتب الفرنسية والانجليزية التي أخرجتها المطابع الاجنبية منذ أسابيع أو شهور! ليس غريباً إذن أن لبنان الذي يمثل المركز الحادي عشر في حركة النشر على مستوى العالم (إحصائية عام ١٩٩٩) ما زال رمزاً للعروبة والانفتاح.

لكن الدهشة اللبنانية لا تلبث برغم ذلك ان تثير ثلاثة تساؤلات مؤرقة! أولها كيف تصمد عروبة لبنان في ظل الاعاصير والمتغيرات وتحت وقع طرقات الفك والتركيب التي تجرى بهمة وعجلة في أرجاء المنطقة؟ والسؤال الثاني هو هل يظل انفتاح لبنان المدهش والرائع على العالم إضافة لعروبته كما يحلم البعض أم خصماً منها مثلما يتوجس البعض الآخر؟ أما السؤال الثالث والأخير فهو كيف السبيل لأن نكف جميعاً. لبنانيين وعرباً. عن جلد الذات الذي يتحول بفعل الزمن والعادة الى وسواس قهري يحجم قدراتنا ويجهض أحلامنا؟ وإذا كنا مسكونين في لبنان وفي غير لبنان بمشاعر الحيرة والقلق والالتباس.. فليكن.. لكننا ما زلنا أمة حية نمتلك برغم النكبات والمحن جغرافيا وتاريخ ولغة وثقافة وبشر وموارد.. فماذا ينقصنا بعد لتسري في أوصالنا الهمة؟ الشعوب الحية تمضي.. ولبنان الذي قدم لمحيطه العربي بسكانه الأربعة ملايين قيم التنوير والحرية وإرادة المقاومة قادر على تجاوز مخاض تطوره السياسي ليصبح يوماً نموذجاً لدولة المواطنة.. لا تدعوا هذا الشعب الخلاق يفقد ثقته في نفسه.. واستمعوا لأمل دنقل يقول في قصيدته: (آه ما أقسى الجدار.. عندما ينهض في وجه الشروق! ربما ننفق كل العمر كي ننقب ثغرة.. ليمر النور للأجيال.. مرة.. ربما لو لم يكن هذا الجدار.. ما عرفنا قيمة الضوء الطليق)!!

❖ الامين العام لمؤسسة الفكر العربي. أستاذ جامعي